القارئ أذكى مني

■ رغم العديد من الأسماء الشابة، إلا أن المشهد السردي في الجزائر يبدو بطيئاً نسبياً... ولا تزال أسماء مكرسة في الصدارة... واسيني الأعرج وأحلام مستغانمي... ما رأيك؟

ـ لهذا على الأسماء الشابة كما وصفتها أن تجد لنفسها مخرجاً، ولكن ألا تعتقد أيضا أن الخلل ربما يكون في نصوص هذه الأسماء؟

سأكون صريحا، ماذا يمكنك أن تنتظر من كاتب يظهر إلى الساحة وهو موقن أنه أقل مستوى من أحلام وواسيني ويصرح بذلك أو يسعى بأي طريقة للحصول على شهادتهما فيه. آخر ما قرأته مثلا، غلاف كتاب روائي وضع جملة نسبها لأحلام مستغانمي تقول فيها إنه كاتب شاب واعد. هل تعتقد مثلا أن هذا يؤمن بنفسه ويمكنه المنافسة؟

■ ما حقيقة صداماتك الكثيرة مع الكتّاب وحتى المسؤولين الجزائريين؟

ـ تمنيت أن أقول لك إن خلافاتي مع هؤلاء سببها فكري أو إيديولوجي، أو هي في سياق منافسة ما. تمنيت ذلك حقا، ولكن الأمر لا علاقة له بالفكر أو المنافسة أو حتى الإيديولوجيا. أعتقد أن صداماتي في جميع تمظهراتها هي ترجمة بدائية للصراع الأبدي بين الجيد والرديء، بين الكاتب ومدعي الكتابة. صراع يصور الهوة بين ما هو حاصل وما يجب أن يكون.

للأسف، بسبب تراكم الرداءة في الأدب الجزائري، وخاصة في الرواية، وانحسار دور المثقف النقدي في الواقع الثقافي في الجزائر، أصبحت السلطة في الجزائر تيسّر جميع السبل لكل من يعبّر عن انبطاحه ولا مبالاته، سواء كان جيدا أو رديئاً. مع الوقت، مُنح امتياز خاص لأي رديء يعبر عن سعادته ورغبته في استمرار الوضع على ما هو عليه. هكذا وجدت الساحة الثقافية في الجزائر نفسها رهينة لهؤلاء، وخاصة أنّ المثقف النقدي أو الحقيقي كما أصفه بسبب الإقصاء المستمر اختار أحد سبيلين: الصمت والحيادية أو الانبطاح بكل ما يعنيه من ذلك قبوله لريادة الرديء.

> **اعتبار الحبكة البوليسية درجة ثانية يدل على تخلف سردي واضح**

في كل فترة، تقدم السلطة واجهة ثقافية وأدبية تخدم هذا التوجه، وهي واجهة تصدر للخارج تبييضاً للوجه، في فترة ما كان الطاهر وطار واجهتها، ثم أصبح رشيد بوجدرة ولاحقا أحلام مستغانمي وأخيرا واسيني الأعرج. جميع هؤلاء شكلوا واجهة بقدر ما تبدو فخمة وفاخرة وبهية، بقدر ما تخفي خلفها ما لا أستطيع وصفه، رغم ادعائي اتساع الخيال.

صداماتي سببها رفضي لهذا الواقع المُتصوّر للثقافة: «أسكت لتغنم»، فيقيني أنه واقع متعفن نتن يفرض حتى على الأبكم الكلام. واقع سبق أن صوّرته كالرجل الميت الذي يرتدي بدلة، لك أن تقول إنه وسيم وجميل ولكن ليس من حقك أن تمنعني من رؤية حقيقة أنه ميت ونتن.

■ طالبتَ أخيراً بإلغاء وزارة الثقافة في الجزائر... لماذا ؟ وإلى أين وصل صوتك؟

ـ الطبيعة واضحة جدا، الكائن الذي لا يؤدي وظيفة محددة مطالب بالاندثار والانقراض، والعضو الذي لا يعمل يضمر ويزول. وزارة الثقافة الجزائرية من أيام محي الدين عميمور إلى يومنا هذا مرورا بخليدة تومي ووصولاً إلى عز الدين ميهوبي لا تؤدي أي دور يذكر، بل إن انبطاح الوزراء، وعدم امتلاكهم لأي تصور أو مشروع ثقافي، زادا الأمور تعقيدا. لم نملك وزيراً واحداً امتلك القدرة على فرض أي تصور على ارض الواقع. لا أحد طرح سياسة ثقافية واضحة، ولا أحد ساهم ولو بقدر ضئيل في بعث الثقافة والساحة الثقافية.

أعتقد أن وزارة لا يملك وزيرها القدرة على التفاوض مع الحكومة بخصوص ميزانيتها التي عوض أن تبلغ على الأقل واحدا بالمئة من الميزانية العامة، ويقبل باستكانة أن تخفض على هذا الشكل، وزير لن يملك القدرة على فرض تصور ما للثقافة، بمعنى أن الواقع الثقافي سيزداد سوءاً على سوء، كل هذا وأكثر يدفعني للدعوة إلى إلغاء هذه الوزارة التي لا نفع منها على الإطلاق.

منذ عهدة محيي الدين عميمور ونحن نصرخ بضرورة وضع أرضية ينبثق منها الفعل الثقافي، وأهم ما في هذه الأرضية الاتفاق على تعريف محدد للثقافة. تصور، نكاد نكون الدولة الوحيدة التي لا تملك في كل قوانينها تعريفا واضحا للثقافة. كان الأمر مفهوما حين كانت السلطة تعمد إلى عدم الاعتراف بالهوية الأمازيغية للشعب الجزائري، على الأقل كان ثمة سبب سياسي يمنع من تعريف الثقافة ولكنه أمر غير مقبول الآن، وخاصة أن الاستمرار في ذلك من شأنه إطالة عمر المأساة الثقافية.

إنه واقع عفن... بائس وكئيب. أدى فيما أدى إليه إلى خلق واقع من الجبن الثقافي، ومجتمع ثقافي متواضع المستوى، ضعيف الشخصية، منعدم الطموح في ما يتعلق بكل ما هو ثقافي. واقع يتسم بنفاق أصبح يستحسن حتى من المسؤولين، تجد مثلا الواحد يجاهر بدعمه للمؤسسة الرسمية ولكنه يسر إليك بعكس ما جاهر به. حتى المواقف أصبحت تقدر بأسعار، والصمت أيضا يشترى.

تطهيرا لنفسي، أعترف لك صديقي أنني انصعت في الأشهر السابقة. إنني وبكل أسف فضلت الصمت طمعاً في وعود قطعها لي الوزير. أدرك عز الدين ميهوبي حاجتي الماسة للاستقرار الوظيفي، وحاجتي إلى عمل مستقر فوعدني بأكثر من منصب. خلت لوهلة أنها خدمة صديق لصديق يملك من المؤهلات العلمية والتجربة والوزن الأدبي ما يسمح له بخدمته بلا حرج أو مقابل، لكنني مع الوقت أدركت أنها لم تكن إلا طريقة لوضعي على الهامش، فالمنطق يقول أنه كلما زاد عمر طمعي كلما زاد عمر صمتي. ما لم يدركه الوزير أن كاتبا مثلي لا يمكن وضعه في قمقم، وهو أمر سرعان ما أدركه حين شرعت في مشروع «موعد مع الرواية» الذي كان السبب المباشر في سلبيته معي في فشله.

الآن عدت إلى نقطة الصفر: كاتب بلا دخل ثابت، ولكن بضمير مرتاح جدا. أعترف بهذا، احتراماً لنفسي واعتذاراً لها أولاً وأخيراً.

فيسبوكيات

في المشهد المقلوبِ ستارةٌ
تنزاحُ من تحت فإلى اليسار،
أسيادٌ مشحّمون حديثاً، يبدأون
رقصة سامبا بخطوة لماعة، ونساء يصفّقن
بأيد نصف مستعارة، ويسكي كثير
لا تخافوا، ولا تقربوا أيضاً،
في المشهد المقلوب
سبّاح منقذ وحلاق رجالي يستعرضان
صعاليك الماضي، سحرته،
كتبته الذائبين في جهنّم آب،
والعالقين في صنّارة الفكرة بلا
طعام أو باب للخروج الى
البرّية، مع آخر لفظة من
كرمة برّية.
في المشهد المقلوب
سلالة جديدة
ملوكٌ على صالات
بازار أشلاء
صوَر عن ينابيع أنقى من حلمٍ أول
للبيع.
في المشهد المقلوب
لا كرسيّ متاحاً
للكلمة.

أنطوان أبو زيد
(شاعر لبناني)

أمشي مثل بحر قُطعت له يداه
وساقاه
ولم يتبقَّ له سوى الموج.

ميس الريم قرفول
(شاعرة سورية)

من النّظرة الأولى
يبدو الحائط مائلاً
أعلم أنّ الفكرة الأولى
تستمرّ إلى الأبد
أوجاع الوحيدين
يجب أن تعيش معهم
عرفتُ هذا متأخراً!!
كل ما أستطيع فعله الآن
أن أضع عليه ساعة
وأساعده أن يكبر.

جلال الأحمدي
(شاعر يمني)

في هذه الحرب
لست مع
أي طرف
أنا مع تلك الكمية من الريح
التي تحمل ريشةً صغيرة
إلى مكان آمن.

عبد الهادي سعيد
(شاعر مغربي)